



تکاد التبدلات التي تجريها بعض الدول على خياراتها وموافقتها تشبه إلى حد بعيد سلوك الناس العاديين في اختيار ألوان ملابسهم، بما تنتطوي عليه من مزاجية واستسهال في اتخاذ القرار، مع الفارق الهائل بين الخيارات السياسية التي يجري تصميمها نتيجة عمليات تقدير وفحص ومراقبة موازنة المصالح والمبادئ السياسية، وبين نماذج الملابس التي يجري تصميمها لمراعاة الذوق العام وتواافقها مع منظومة القيم السائدة أو تلك الطالعة.

بين ليلة ويوم، ونتيجة لحادث، قد يكون عرضياً، أو لن يتكرر بذات القوة، تذهب كتلة وازنة من الدول الغربية إلى تبديل خياراتها السياسية في سورية، وتدعوا إلى تأهيل نظام قتل مئات الآلاف من البشر، الذين وإن لم يكونوا من الجنسية الوطنية لتلك البلدان، إلا أنهم من الجنس البشري الذي أجمعـت كل الأديـبات السياسيـة المؤسـسة للعـصر الحديث عـلى وحدـته ودـعت إـلى ضـرورة حـماـيـة، بل توصلـتـ المـجـتمـعـ الدـولـيـ وـفيـ لـحظـةـ تـجلـ إـنسـانـيـةـ إـلـىـ التـواـضـعـ عـلـىـ وـثـيقـةـ «ـمـبـأـ مـسـؤـلـيـةـ الحـماـيـةـ»ـ التي تـدعـوـ إـلـىـ تـحـمـلـ «ـمـسـؤـلـيـةـ حـماـيـةـ»ـ الشـعـوبـ منـ الإـبـادـةـ الجـمـاعـيـةـ وـالـجـرـائمـ ضدـ إـنـسـانـيـةـ وـجـرـائمـ الـحـربـ.

إـلـىـ ذـلـكـ، لمـ تـعـدـ الـخـيـارـاتـ السـيـاسـيـةـ، وـرـغـمـ حـقـ السـيـادـةـ المـصـانـ لـجـمـيعـ الـوـحدـاتـ السـيـاسـيـةـ، حـقـاـ يـسـبـحـ فـيـ الفـضـاءـ وـغـيرـ مـقـيدـ، بلـ هوـ حـقـ مـشـروـطـ بـجـملـةـ مـنـ الـمـحـدـدـاتـ، مـثـلـ تـوـافـقـهـ مـعـ الـفـانـونـ الدـولـيـ وـالـالـلتـزـامـاتـ الـتـيـ يـرـتـبـهاـ عـلـىـ الـأـسـرـةـ الدـولـيـةـ، وـكـذـلـكـ مـدـىـ تـأـثـيرـ هـذـهـ الـخـيـارـاتـ عـلـىـ السـلـمـ وـالـأـمـنـ الدـولـيـينـ، وـفـيـ النـهاـيـةـ وـقـوـعـهـاـ تـحـتـ سـقـفـ الـمـبـادـئـ السـيـاسـيـةـ وـالـحـقـوقـيـةـ الـتـيـ أـقـرـتـهـاـ الـمـوـاثـيقـ الـمـؤـسـسـةـ لـلـنـظـامـ الدـولـيـ الـمـعاـصـرـ «ـالـعـهـدـ الدـولـيـ الـخـاصـ بـالـحـقـوقـ الـمـدنـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ»ـ.

وـاستـبـاعـاـ، فـإـنـ الـمـنـطـقـ الطـبـيـعـيـ لـتـطـورـ الـقـيـمـ السـيـاسـيـةـ وـالـقـوـاعـدـ النـاظـمـةـ لـلـاجـتمـاعـ الدـولـيـ هوـ الـانـطـلـاقـ مـنـ جـملـةـ هـذـهـ الـمـرـتكـزـاتـ بـاتـجـاهـ تـطـوـيرـهـاـ لـلـأـفـضـلـ وـبـمـاـ يـخـدمـ تـطـورـ الـمـجـتمـعـاتـ الـبـشـرـيـةـ فـيـ الـمـسـتـوـيـاتـ السـيـاسـيـةـ وـفـيـ مـجاـلـاتـ

الديمقراطية وحقوق الإنسان، باعتبارها تمثل قيمًا عالمية لا يجوز التراجع عنها بل الاستمرار في دعمها وتطويرها.

وأول ما يستدعي ذلك، رفض كل محاولات النكوص عن هذه القيم، التي يفترض أن تكون الخط الأحمر الأول في التعاطي الدولي، واعتبار أنها قضية تستحق بذل التضحيات في سبيلها، وبالتالي تقدير وقوع الأخطار في هذه المواجهة، وهي بهذا المعنى لا تعني اصطفافاً أو تفضيلاً لطرف مقابل طرف آخر بقدر ما هي مصلحة عالمية تخص حرية البشرية وتطورها.

كيف يمكن فرز المصالح الوطنية وتصنيفها لأي دولة ما لم يكن من خلال انحياز مواقفها إلى جانب قيم الحق والعدالة في ظل عالم متداخل بدرجة كبيرة وفي ظل سهولة انتقال عناصر الفوضى والإرهاب؟

وطالما أن الدول تضع مواقفها في إطار المفاضلة بين طرف وآخر قياساً إلى ما يحقق لها من مصالح أمنية زائفة، وكيف يمكن توقع الحصول على الأمن والاستقرار فيما تشتعل النيران على التخوم؟

لقد أثبتت أحداث التاريخ أن الانتهازية السياسية هي مقتل التفكير السياسي السليم وعنوان الجبن السياسي الذي كان الدينامية التي شكلت أسطورة القادة المجرمين حيث تحولت معاركهم إلى حروب جوالة تتنقل في ساحات العالم وما أن تنهي جولتها في مكان حتى تستعد للانفacement والظهور في مكان آخر، وفي حالنا الراهنة، إذا سكت العالم على بوتين فالمشكلة لن تكون سورية أو أوكرانيا، بل الساحات التالية لهما.

أحياناً كثيرة يختلط الأمر بين العقلانية والواقعية السياسية وبين الانهزامية والاستقالة عن مواجهة الأخطاء، وهي في الواقع ليست أكثر من نمط سيئ من إدارة الأزمات يتم اللجوء فيه إلى خيارات مضللة تبدو أنها تضمن السلامة، وللأسف هذه اللحظات كانت هي الأكثر سيادة في تاريخ السياسة العالمي فيما كانت لحظات الاستجابة للتحديات بمثابة ومضات في تاريخ البشرية لكنها كانت وراء صناعة الانعطافات التاريخية الأكثر أهمية في تاريخ البشرية.

الحياة اللندنية

المصادر: